سيد قطب بين الرومانسية والواقعية الإسلامية

الدكتور سردار اصلاني (الكاتب المسؤول)

أستاذ مشارك ، جامعة أصفهان ، قسم اللغة العربية وآدابها

sardareaslani@yahoo.com

الدكتور محمد رحيمي

أستاذ مساعد ، جامعة أصفهان ، قسم اللغة العربية وآدابها

rahimim65@gmail.com

مسلم گرجي

طالب دكتوراه ، جامعة أصفهان ، قسم اللغة العربية وآدابها

yazahra.moslem@gmail.com

Sayyid Qutb between Romanticism and Islamic Realism

Dr. Sardar Aslani (Responsible Author)

Associate Professor , Isfahan University , Department of Arabic Language and Literature

Dr. Muhammad Rahimi

Assistant Professor , Isfahan University , Department of Arabic Language and Literature

Muslim gorji

الخلاصة :

عاش سيد قطب حياة أدبية مثمرة ومؤثرة، ابتدأت بالشعر في العشرينيات من القرن العشرين وإستمرت بكتابة القصص والنقد الأدبي في الأربعينيات من نفس القرن وهذا عبر تأرجحه بين الرومانسية والواقعية الإسلامية. انطلاقا من هذا المبني الرئيس، يهدف هذا البحث بالمنهج الوصفي ـ التحليلي إلي أن يلقي الضوء علي دور سيد قطب في تعزيز مبادئ الواقعية الإسلامية وتلفيقها بالرومانسية وكيفية توظيفه لهاتين المدرستين.

يبين أهمّ نتائج هذا البحث أن سيد قطب انتمىٰ قبل الأربعينيات إلي المدرسة الأدبية الرومانسية ومن ثم أخذت تظهر في آثاره ملامح الواقعية الإسلامية؛ هذا وقد أجاد هذا الأديب المفكر في الجمع بينهما وتبنّىٰ بالمواصفات الأدبية الواحدة - كأسلوب الخيال والتجربة الذاتية والأدبية والاهتمام بالتفاصيل-لإنجاز أعماله الأدبية ولبناء أفكاره النقدية. إذ نجده في خياله الرومنسي يقترب من الواقعية وفي نفس الوقت تدنو تجربته الواقعية الى الرومنسية.

الكلمات المفتاحية: سيد قطب، الرومانسية، الواقعية، الأدب الإسلامي.

Abstract:

Syed Qutb lived a fruitful literary life. This literary and critical life began with poetry in the twenties of the twentieth century. It continued to write stories and literary criticism in the forties of this century and after. This life did not last on a single pace, but rather changed with the intellectual and political life of a writer, especially when Sayyid Qutb turned to Islamic literature and realism. And then we see that before the forties he belonged to the romantic literary school and then to Islamic realism. And between these two periods, he oscillated between the schools of romance and realism, while at times he came close to realism, and sometimes he moved away from it. The thinking writer excelled in combining them and adopted the same literary specifications - such as the style of imagination, subjective and literary experience, and attention to details - to complete his literary works and to build his critical ideas. We find him approaching his romantic imagination to realism, and his realistic experience approaching romance. The attention to details makes him pay attention to the romantic, imaginative details at times and the details of his real daily life at other times. Soon, Islamic realism took root in his ideas and literary works, and its influence was clearly noted in his intellectual, literary and artistic stances. It is necessary to shed light on his literary works and his critical views anew, to monitor these commonalities and to identify the distinctions of his Western and Islamic realism before and after the forties. This life, full of unique intellectual and literary experiences, is what made us search for this topic, and the method of research is historical, using the descriptive-analytical method.

Key words : Sayyid Qutb , romanticism , realism , Islamic realism .

١- المقدمة

كانت للمدارس الأدبية دور كبير في توجيه الأدباء والنقاد في نشاطاتهم الأدبية أو النقدية. من أهمّ هذه المدارس التي جابت أنحاء العالم ووصلت إلي الأدب العربي، هما المدرستان الرومانسية والواقعية. أقبل الأدباء والنقاد في أكثر البلدان العربية إليهما وحذو حذو المدرستين في إنشاء الشعر وكتابة القصص وكتابة المقالات الأدبية والنقدية. كما نعلم أن اتجاه الأدباء إلى أيّة مدرسة من المدارس الأدبية يعطي لهم فرصة لمعرفة مبادئ هذه المدارس وأصولها ومناهجها، ومن ثم يمكنهم من أن يميزوا أنفسهم بميزات هذه المدارس في أعمالهم الأدبية، وتبدو ملامح هذه المدارس في كل أعمالهم، ومن اليسير رصد هذه الملامح وكأنّها رأس النفيضة للوصول إلي فكرة الأديب ومراميها المتوخاة، وليس موضوعاً عسير المنال أن يبحث ناقدٌ عن ملامح مدرسة في أعمال مؤيديها. ولكن إذا جمعت ملامح المدرستين في أعمال أديب واحد فإن رصدها يكون علي درجة كبيرة من الصعوبة والحساسية، لأن النزعة الرومانسية والنزعة الواقعية بما فيهما من الميزات المغناطيسة- كالمدرستين المتعاكستين- تجذبان بعض الأدباء وتطردان بعضهم، و ملامح هاتين المدرستين عندما جمعت في عمل أدبي، تتسم بتعدد الأساليب وإختلاف المفاهيم وتعارض التعابير، خاصة فيما يعرف بمستويات التحليل .

أما في مصر فنجد أديباً وناقداً وصحفياً ومفكراً قد أجاد الجمع بين المدرستين المختلفتين، اسمه" سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي " الذي إهتم بالقواسم المشتركة بين المدرستين المختلفتين. لقد كان سيد قطب مفكراً وأديباً لامعاً مكثراً في الإنتاج الفكري والأدبي وفي آثاره آراء خاصة وجديدة نسبيا في المجالات الأدبية والإنسانية، مع وجود ملاحظات متباينة ومختلفة عنه، «كان

سيد قطب "مكثراً"من الكتابة في الصحف والمجلات، يكتب في صحف يومية، ومجلات و صحف أسبوعية، يكتب نثراً ونظماً، ويكتب مقالات أدبية نقدية، أو تربوية، أو اجتماعية،أوسياسية» (الخالدي،١٩٩٤م:٩٤) وقد إهتم الدارسون بدراسة شخصية سيد قطب في المجالات السياسية والاجتماعية لكن شخصيته الأدبية والنقدية حظيت باهتمام أقل، ولا يتجاوز هذا الجهد القليل إلا عن دراسة أعمال سيد قطب الرومانسية .الثقافة الأدبية والموهبة النقدية عنده وهي ما تجعله يجيد الجمع بين مدرستي الرومانسية والواقعية. كما تدفعه إلي أن ينصرف إلي الواقعية الإسلامية. هذا الجمع وهذا التأرجح وهذا الإنصراف قد اجتمع في شخصية "سيد قطب" الأدبية، لذا نجده شخصيةً معقّدة لايمكن تعريفها إلا بعد دراسةٍ دقيقةٍ ونظرةٍ فاحصةٍ في أعماله الأدبية وآرائه النقدية.من هنا تبرز أهمية دراسة أعمالٍ سيد قطب الأدبية وآرائه النقدية من جديد ؛كما تبرز ضرورة تسليط الضوء عليها من منظور جديد لكشف ما خفي عن المفكرين والنقاد والباحثين الذين راموا جميعهم تسليط الضوء علي ملامح الرومانسية في شعره فحسب؛ وتركوا رصد ملامح الواقعية والواقعية الإسلامية والقواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية عنده.

٢- أسئلة البحث

يحاول البحث من خلال هذه الدراسة الإجابة علي الأسئلة الآتية:

١-كيف تنعكس القضايا الواقعية والرومانسية في أعمال سيد قطب الأدبية وآرائه النقدية؟

٢-ما القواسم المشتركة بين أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية في الرومانسية والواقعية؟

٣- خلفيةالبحث

لعلَّ أبرز الأعمال التي اعتنت بدراسة أعمال سيد قطب الأدبية كما يلي:

١- كرة اللهب ـ التراث الفكري والأدبي لسيد قطب (عبدالحميد ضحا٢٠١٩م) قام الباحث بالتعريف لكتب سيد قطب الأدبية وغير الأدبية و قدم نبذة من كل كتاب .

٢- سيد قطب، حياته وأدبه (عبدالباقي محمد حسين،١٩٩٣م) تناول الباحث حياة الكاتب وتطرق إلي شتي جوانبه، وركز علي أدبه وعلي أغراضه الشعرية وعلي رومانسية قصائده، وشرح بعض أبياته كما تطرق إلي دراسة بعض آرائه النقدية.

٣- سيد قطب وملامح الرومانسيه في شعره (علي سليمي، فاروق نعمتي،مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ١٣٩١ش) وصف الباحثان تأثر سيد قطب بمدرسة العقاد وعالجا ملامح الرومانسية عنده «كالحنين إلي الوطن وذكريات الماضي، والشعور بالغربه الروحيه العميقة، و الذوبان في الطبيعه والتحدّث معها، والحبّ والتغزّل، والسياحه في عالم الخيال، والثورة علي المجتمع وأفكاره، والاشادة بالحرية، و الاحساس بالألم والحزن»(سليمي/ نعمتي،١٣٩١ش).

٤- الاغتراب ومظاهره في شعر سيد قطب (دراسة وتحليل): (فاروق نعمتي، جهانگير أميري، علي سليمي وعبدالسلام كريمي ١٣٩٣ش) والباحثون في هذه المقالة قاموا «باستقصاء أنواع الاغتراب ومن ثمّ تطبيقها علي نماذج شعرية لسيد قطب كأديب بارزٍ في الشعر المصري المعاصر.»(نعمتي والزملاء،١٣٩٣ش).

٥- التحليل النفسي للموضوعات المشتركة في قصائد سيد قطب وديوان شهريار التركي:(علي احمدزاده وكبري روشنفكر١٣٩٥ش). قام الباحثان بالتحليل النفسي لشخصية سيد قطب وشهريار من خلال دراسة أشعارهم، وتم استخدام الموضوعات المشتركة التي تعد من أبرز القواعد الرومانسية لهذين الشاعرين،« مثل الطفولة والحزن

والشيخوخة، وآليات الدفاع المختلفة مثل "العودة الزمنية" و"التكرار" و"الفصل" و"التوحيد" وما إلى ذلك.» (احمدزاده، روشنفكر ،١٣٩٥ش).

٦- سيد قطب شاعراً (دراسة وتحليل في خصائصه الشعرية)(فاروق نعمتي، علي سليمي وجهانگير أميري ٢٠١٤م) إعتنى الباحثون بشاعرية سيد قطب وعدّوه من الأدباء الرومانسيين وعندهم « يظهر من شعر سيد قطب إنه أميل إلي التجديد في شعره منه إلي المحافظة ويميل إلي الرومانسيّة باجتياحه الذهني المتأثر بمدرسة "الديوان» وشخصيّة العقّاد"(نعمتي والزملاء،٢٠١٤م).

٧- دراسة مقارنة للرومانسية في قصائد سيد قطب ونادر نادربور(يحيي معروف وفاروق نعمتي ١٣٩٠ش) وتناول الباحثان ملامح الرومانسية في أشعار سيد قطب ونادر نادر پور ومن أبرز هذه الملامح «الحنين إلي الوطن والإغتراب والشعور بالألم والمعاناة واللجوء إلي ذكريات الماضي والانسياب في الطبيعة والحب.»(معروف/نعمتي، ١٣٩٠ش).

٨- الرومانسية في شعر سيد قطب (ريحانة ملازاده ١٤٣١ق) وقد جعلت الباحثة موضوعات ديوان سيد قطب مصدراً لدراسة ملامح الرومانسية، وقامت بالتحليل البلاغي لبعض الأجزاء من قصائد الشاعر .(ملازاده،١٤٣١ق).

٩- سيد قطب وتراثه الأدبي والنقدي (حسن سرباز ٢٠١٠م) والباحث بدراسته لأعمال سيد قطب النقدية والأدبية انتهى إلي إنه «غلبت علي شعره النزعة الرومانسية باجتياحه الذهني المتأثر من مدرسة الديوان، والوجدان المتأثر من مدرسة أبولو. وخلا شعره من المدح والفخر والهجاء والغزل الحسي الفاحش.»(سرباز،٢٠١٠م).

٤- سيد قطب بين الرومانسية والواقعية

ينظر البحث هنا إلي حياة سيد قطب نظرة خاطفة ومن ثم يتطرق بتفصيل إلي ملامح الأدب الرومانسي والواقعي عنده.

٤-١. نبذة عن حياة سيد قطب الأدبية

إذا أردنا أن نوجز في بيان حياة "سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي" - فإنه ولد في قرية "موشة" (محافظة أسيوط) عام ١٩٠٦- ويمكننا أن نستند بقول سيد قطب نفسه في بيان مراحل حياته التي قسّمها إلي خمسة أقسام هي:

«الأولي : نشأته علي تقاليد الإسلام في الريف وبيئته. الثانية: انتقاله إلي القاهرة، حيث انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولي وتبخرت ثقافته الدينية الإسلامية. الثالثة: مروره بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلي أقصي حدود. الرابعة: إقباله علي القرآن، والنظر فيه لدواعٍ أدبية. الخامسة: تأثير القرآن فيه حيث تدرج به إلي الايمان والالتزام.» (الندوي،١٩٧٩م : ١٨٩) .

أضف إلي ذلك أنّه - بين (١٩٢٥م-١٩٤٥م في العشرينيات القرن العشرين) -كان أديباً عند الأدباء وهو شاعر وكاتب قصص للاطفال. وهو -بين (١٩٤٥م-١٩٥٠م في الأربعينيات القرن العشرين) -كان ناقداً عند النقاد، ناقد أدبي. وهو- بين (١٩٥٠ -١٩٥٤ في الخمسينيات القرن العشرين) -كان مفكراً عند المفكرين، مفكر اسلامي. وهو بين- (١٩٥٤م-١٩٦٥م في الستينيات القرن العشرين)- كان مكافحاً شهيداً عند الإخوان المسلمين، رجل مسلم مكافح سياسي.

ومن ثم لايمكن دراسة شتي جوانب شخصيته وحصرها بين دفّتي هذا البحث لذا سنكتفي بعرض حياته الأدبية،أديباً وناقداً قبل الأربعينيات وبعدها وهذا من خلال دراسة آثاره بين ١٩٢٥م-١٩٦٠م.

فأمّا أعماله الشعرية فتبدأ بقصيدة "وردة ذابلة" عام (١٩٢٥م) وتنتهي بقصيدة "أخي"عام (١٩٥٧م). ولكن أعظم أعماله الشعرية كانت في عام

(١٩٣٤م). وديوانه المعروف"الشاطي المجهول"وقصيدته المعروفة "الكأس المسمومة".

أما أعماله القصصيية فتبدأ بكتاب" طفل من القرية" عام(١٩٤٦م) وتستمر بقصة "المدينة المسحورة"عام (١٩٤٦م) وتنتهي بأعماله القصصية للاطفال (روضة الطفل والقصص الديني للاطفال) عام (١٩٤٧م) وفي نفس السنة كتب قصته الشهيرة "الأشواك".

وأعماله النقدية تبدأ بكتاب "مهمة الشاعر في الحياة" عام(١٩٣٣م) وتبعه "التصوير الفني في القرآن عام(١٩٣٩م) وتستمر في "أطياف الأربعة" عام (١٩٤٥م) و"كتب وشخصيات" عام (١٩٤٦م) و"مشاهد القيامة" عام (١٩٤٧م) وتنتهي بكتابه الشهير"النقد الأدبي: أصوله ومناهجه"عام(١٩٤٨م).

إنّ دراستنا لأعمال سيد قطب الأدبية شعراً أو قصة أو نقداً، تنطلق من الحقيقة التي تكمن في تعريفه للعمل الأدبي، لذا نراه يتأرجح بين الرومانسية والواقعية وإجمادته في الجمع بينهما. وطالما نتحدث عن الرومانسية والواقعية في الأدب، فلعلّه من الملائم أن نبحث عن هذه التعاريف في ما حصل عليه سيد قطب وهو يري العمل الأدبي معبراً « عن التجربة الشعورية في صورة موحية.»(قطب،٢٠٠٣م: ١١). ومن منطلق هذا التعريف ننظر إلي الرومانسية والواقعية في أعماله، وخلال تحليلنا سنستهلّ باستعراض ملامح الرومانسية في أعماله وسنعقب ذلك بأن ننظر إلي القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية في أعماله الأدبية وسوف ننطلق بعد ذلك إلي رصد الواقعية الإسلامية فيها.

٢-٤.ملامح الرومانسية في أعمال سيد قطب

لم يخرج سيد قطب عن أوزان الشعر التقليدية، رغم أن بعض كلماته المستخدمة تحتاج إلي الشرح وتفسير النحاة واللغويين، مع ذلك فإن مضامينه الشعرية تبدو رومانسية المذهب.

لفظة الرومانسية مشتقة من الكلمة (romanius) التي أطلقت علي اللغات والآداب التي كانت تعتبر في القرون الوسطي كلهجات عامية للغة الرومان القديمة أي اللغة اللاتينية. والرومانسية إحدي لهجات سويسرا. وقد قصد الرومانسيون باختيارهم هذا اللفظ، عنواناً لمذهبهم إلي المعارضة بين تاريخهم، وأدبهم، وثقافتهم القومية أي الرومانسية؛ وبين التاريخ والأدب، والثقافة الإغريقية، واللاتينية القديمة التي سيطرت علي الكلاسيكية، وقيدت أدبها بما استنبط منها من أصول وقواعد.(مندور، ١٩٩٨م،٥٩-٦٠)

أما المدرسة الرومانسية فإنها ظهرت في القرن الثامن عشر في فرنسا وسرعان ما راجت في بلدان أروبية أخرى، وقد ظهرت كردّ فعل ضد الكلاسيكية. وعند الحديث عن الرومانسية سرعان ما تتبادر إلي الذهن مسألة ميزات هذه المدرسة ومدي تأثير علم النفس علي أدبائها، وغير خفيّ أنّ آثار هذه التأثير أكثر من أن تحصي، فهناك آثار إيجابية وأخري غير إيجابية؛ بالنسبة لسيد قطب، نجده يستمد آرائه في هذا المجال من إنجازات علماء النفس، خاصة فيما يتعلق بقضايا التعبير. ومن هنا يصبح علم النفس أصلاً رئيسياً عنده في العمل الأدبي في كلتا المرحلتين (في التأثير وفي التفاعل). ولقد تعرض الكاتب لهذه القضية في أكثر من موقف في آثاره النقدية، فقال في أحد تلك المواقف إن:"العنصر النفسي أصيل بارز في "العمل الأدبي " وإذا نحن عدنا إلي التعريف الذي أخترناه منذ البدء للعمل الأدبي، وهو«التعبيرعن تجربة شعورية في صورة موحية" وجدنا العنصر النفسي بارزاً في كل خطوة من خطواته فالتجربة الشعورية ناطقة بألفاظها عن إصالة العنصر النفسي في مرحلة التأثر الواعية إلي التعبير، والصورة الموحية ناطقة بألفاظها كذلك عن إصالة هذا العنصر في مرحلة التأثير الذي يوحي به التعبير».(قطب ،٢٠٠٣م :٢٠٧) .

أمّا من العناصر النفسية التي يستفيد منها سيد قطب في قضية "التعبير "فهي عنصر "اللاوعي": «نستطيع أن نحدد – علي وجه التقريب- عمل الوعي وما

وراء الوعي في الشعر، فنستطيع أن نقول: إن الشعر يستمد معظم موثراته وإنفعالاته من وراء الوعي، وإن الوعي إنّما يبدأ عمله عند مرحلة النظم التي لابد فيها من إختيار ألفاظ خاصة تعبر عن معاني خاصة، وتنسيقها علي نحو معين لتنشأ وزناً معيناً وقافية معينة. ولكن هذا القول لايمضي علي إطلاقه، وهي حالات شعورية خاصة، يبلغ فيها التأثر والانفعال درجة عالية، قد تتم عملية النظم ذاتها بلاوعي كامل.»(قطب ،١٩٨٣م:٤٤) .

هذه الآراء النفسية إذا تمتزج بأفكار الرومانسية تنتهي إلي أن سيدقطب يري الشعر حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية وهو خفقة حياة عنده، قبل أن يكون فكرة ذهن، فينبض قلبه قبل أن يلمع فكره.كما يري بأنّه نعمة من نعم الحياة وجمالها:

الشعر من نعم الحياة عرفته وعرفت فيه البؤس ضربة لازب
الشعر ذؤب حشاشة مسفوكة ألماً ووجداً في حنينٍ ذاهبٍ

(عبدالباقي ،١٩٨٩م:٥٣).

عندما نتتبع آراء سيد قطب، نجده يبحث عن التعبير بين الصورة والظلال وعندما يتحيّر بين اختيار التعبيرين فهو يميل إلي تعبير أقرب إلي الرومانسية «التعبير الذي يلقي المعني مجرداً، يخاطب الذهن وحده، والتعبير الذي يرسم للمعني صورة أوظلالاً يخاطب الحس والوجدان ... وطبيعي أن الطريقة الثانية أقرب إلي طبيعة الفنون.» (قطب ،١٩٨٣م: ٢٨) وأقرب إلي الطبيعة الرومانسية طبعاً.

وأمّا في عالم النقد، فهو يلجأ إلي علم النفس ويهدف إلي معرفة شخصية الأديب ويري بأنّ هذه المعرفة هي "مفتاح" ضروري للمؤلف وللناقد إذ يري للناقد عملان أساسيان: عمله في الجو العام، وعمله مع كل مؤلف علي حده. فيستنتج أن التعريف بالأديب مفتاح ضروري للمؤلف نفسه ولقرّائه الذين

يقرؤون أعماله المتفرقة، حتي الذين لايدركون الطبيعة الفنية التي تصدر عنها تلك الأعمال.

فضلاً عن تأثير علم النفس علي أعمال وآراء سيد قطب الأدبية والنقدية، نري هذه التأثيرات، في العناوين التي يختارها الكاتب لقصائده كما يبدو للوهلة الأولي أن تعابيره في معظم قصائده تتضمن الحركة بين المفاهيم الرومانسية ولذا قسّم النقّاد ديوانه - بناء علي مفاهيمه الرومانسية - بالتمرد والشكوي، والحنين، والتأمل، والغزل، والوصف. وكل هذه المفاهيم رومانسية وملامحها متناثرة في كل قصيدة ومن هذه الملامح الانسياب في الطبيعة؛ لقد ملأت الطبيعة جزءاً كبيراً من حياته فهويري نفسه ساكناً وراضياً وآمناً بين أحضانها وهي مصدر إلهامه في الحياة كلها،كما نجده يذوب في الطبيعة ويريد الانسياب فيها فراراً من الواقع وهو يخاطب صديقه قائلاً:

«أريد الإنطلاق، أريد الانسياب في الطبيعة كأنني ذرة منها لا تحس لها كيانًا مستقلاً، أريد ألا أحس بالقصد والغاية ولا بالحالات الواقعية المحدودة.. إنني أكره الوعي؛ لأنه نوع من الحدود؟» (قطب، ٢٠١٥م: ٢٢٧).

ومن ملامح الرومانسية السائدة في قصائده فهي: التشخيص والشكوي والحنين ونري كلها في هذين البيتين:

مـــر يـــا لـــيل فـــقد اشجـيتنـــي عـلّ في الصـبح هـدوءاً أو سـكون

إن لـــي فيـــك لشـــــجواً وأســـي ومناجـــاة و شكـــوي و حنيـــن

(حنفي ،٢٠٠٨م: ٢٢٣)(هداة الليل)

ومن هذه الملامح، التشاؤم والتشاؤم مرتع لكل إحساس ومنها "الحب" الذي يعاني منه الكاتب وكان الحب عنده "الفاكهة المحرمة" أو إنه شوك من الأشواك:«من هذه التي تلوح كالسراب: تظمئ الحس وتروي الخيال، وتطمع

النفس، ونيلها مُحَال، وتتراءى قريبة مني أبدًا، بعيدة عني أبدًا، كأنّه خارجة من قيود الزمان والمكان؟ إنها الفاكهة المحرمة!» (قطب،٢٠١٥م:٢١٦)

نكتفي بهذا المقدار من الأمثلة و قد سبق لنا أن أشرنا إلي مقالات تعتني بملامح الرومانسية وأمثلتها في أعمال سيد قطب الأدبية،«كالحنين إلي الوطن وذكريات الماضي، والشعور بالغربه الروحيه العميقة، والذوبان في الطبيعه والتحدّث معها، والحبّ والتغزّل، والسياحة في عالم الخيال، والثورة علي المجتمع وأفكاره، والاشادة بالحرية، والإحساس بالألم والحزن»(سليمي، نعمتي،١٣٩١ش). فلا حاجة للتكرار؛ ومع هذا لابد لنا من أن نشير إلي تأثر سيد قطب بجماعة الديوان برئاسة العقاد. على الرغم من أن أعضائها، مثل المازني والشكري، شجّعوا الشباب والكتّاب والشعراء إلي الحداثة والتجديد، بينما تاثر سيد قطب كثيرا بالعقاد وأصبح من مؤيديه ودافع عن آراء العقاد في شتي المجلات، حتي أطلق عليه البعض إسم"المريد".فضلاً عن هذا نجد تأثير سفره إلي أمريكا في أفكاره الرومانسية. ولعل خيبته في الحب لها اكثر تاثيراً في هذه الإنحياز.

ولابد لنا من أن نتعرض لجوانب أخري التي أبعدت سيد قطب عن الرومانسية وقربته من الواقعية لذا سنطرق إلي القواسم المشتركة في هذا المجال.

٣-٤.القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية في أعمال سيد قطب الأدبية

من يرصد القواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية يلحظ أوّلاً أن أبرز قاسم مشترك هو أن تهتم المدرستان بالتجربة كمادة أصيلة للعمل الأدبي، وهناك قاسم مشترك آخر علي درجة من الأهمية وهو أن المدرستين تهتمان بالتفاصيل في الوصف، وفضلاً عن كل هذه القواسم المشتركة .هناك ميزة

مهمة رومانسية النشأة يهتم بها الكاتب وهو "الخيال" إذ يدخله الكاتب في الواقعية، وسنعمد أوّلا إلي تحليل مفهوم "التجربة" عند سيد قطب، وبعد ذلك سنسعي إلي رصد التفاصيل في أعماله الأدبية وأخيراً نتصدي لميزة "الخيال "عنده.

١-٣-٤.التجربة

تُعدُّ قضية "التجربة من أهم العناصر التي يعتني بها سيد قطب في تعريف العمل الأدبي، إذ يقول:«فما العمل الأدبي؟ إنه التعبير عن التجربة شعورية في صورة موحية»(قطب ،٢٠٠٣م :١١). من منطلق هذا التعريف، يقوم الكاتب بمقارنة بين "التجربة " في العلم و"التجربة" في الأدب في أكثر من موضع، ولما كانت كلمات الكاتب أكثر تعبيراً عن هذه المقارنة فمن المفيد أن نورد بعضاً من هذه الكلمات ومنها.

«والتجربة في العلم وسيلة إلي غاية أكبر منها، أمّا التجربة في الأدب فهي نفسها مادته الأصلية . وحين يعني العلم، بوصف مراحل التجربة ليصل منها إلي القانون، يعني الأدب بوصف هذه المراحل، لأن الوصف ذاته هو العمل الأدبي الأصيل، وحينما يصل العلم من تجاربه المتناثرة إلي قانون تفقد هذه التجارب قيمتها، إلّا من الناحية التاريخية، فيصبح القانون هو المظهر البارز اللامع، أمّا التجارب في الأدب فتبقي أبداً محتفظة بجدتها وحرارتها، تنفعل لها النفس كلما استعيدت أو استعيد وصفها لأنّها مادة حية مؤثرة علي الدوام.» (قطب، ٢٠٠٣م: ٥٦).

بإجراء هذه الموازنة الدقيقة بين "التجربة" في العلم و"التجربة" في العمل الأدبي، يوضح لنا الكاتب عدة فروق جوهرية بين تجربتين، ولعل الفارق الحاسم بينهما، هو أن التجربة مادة أصلية لكل عمل أدبي، وأن التجربة العلمية تفقد حيويتها بعد الحصول علي النتيجة، ومن ثم لاتصلح التجربة

العلمية أن تكون مادة للعمل الأدبي. وهناك فارق جدير بتسليط الضوء عليه وهو أن الجدة والحرارة التي تنبعث من الأدب تنتهي إلي التأثر والانفعال في المتلقي، علي خلاف التجربة العلمية التي لاتعتني باستثارة المشاعر. ولقد فكر الكاتب في هذا الأمر كثيراً وكان مما خرج به أن التجربة العلمية تقتل الشعور والانفعال، و إليك ما أورده الكاتب :

«وأن الشمس لتشرق اليوم، وأن القمر ليطلع، وأن الليل ليرخي سدوله، والملايين بعد الملايين لا يرتاع منهم أحد إلا الأفذاذ القليلين. تلك جناية المعرفة، وثمرة التجربة! لقد ظل الإنسان ينفعل وينفعل كلما طالعته الحياة بوجه جديد حتى جرب وجرب وجرب، وحتى عرف وعرف.. وهنا فقط أعظم ما يناله الحي من الحياة: التأثر والانفعال! ومع ذلك تسمع من يقول: إنتفعوا بالتجربة: ازدادوا من المعرفة! ما معنى الانتفاع بالتجربة؟ معناه موت جزء من الحساسية، معناه تجمد منطقة الشعور.»(قطب،٢٠١٥م: ٢٢٣).

ومن هذا المنطلق، يضيف الكاتب " الشعور " إلي " التجربة" في تعريفه للعمل الأدبي إذ يري العمل الأدبي إنه التعبير عن التجربة الشعورية في صورة موحية؛

وأمّا ما وصل به سيد قطب ليس بعيداً عمّا يعتقد به الرومانسييون الغربيون، وعلي سبيل المثال إنّ التجربيات التي يتناولها الرومانسيون كمادة أصيلة لأعمالهم الأدبية تدور حول مفاهيم: الحب (وقد أشرنا إليه سابقاً)، والأسرة، والدور المركزي للأم، وانحطاط الهوية. ونري كل هذه المفاهيم متناثرة في أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية، خاصة قبل الأربعينيات وإليك ما يستخدمه الكاتب من هذه المفاهيم في "الاطياف الأربعة" في سطرين فقط:

«من نحن اليوم يا أمّاه؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا؟ ما عنواننا الذي نحمله في الحياة ونعرف به؟ إنّنا لم نعد بعد أسرة، ولم يعد الناس

حين يتحدثون عنا يقولون: هذه أسرة فلان. بل أصبحوا يقولون: هذا فلان، وهذا أخوه، وهاتان أختاه.»(قطب ،٢٠١٥م: ٢٠٣-٢٠٤)

وكما هو معلوم أن المفاهيم المذكورة واضحة في هذه الكلمات ومنها: الدور المركزي للأم (يا أمّاه) والأسرة (إنّنا لم نعد بعد أسرة) وانحطاط الهوية (ما نحن اليوم ..؟يقولون: هذا فلان.../ما عنواننا الذي نحمله في الحياة ونعرف به؟).

وقد يكون من الواجب في هذا المنعطف من المقال أن نذكر أن سيد قطب- في الغالب- يستخدم هذا النوع من مفهوم التجربة في الشعر. وتختلف عنده مجالات" التجربة الأدبية"، لذا نراه يعتقد بأنّ «التجربة الأدبية" تارة تدخل في الشعر وتارة تدخل في القصة. وأمّا ما يجوز أن تدخل في الشعر فهو تجربة اللحظات الخاصة في حياة البشر، ومهمة الأديب أو الفنان هي الاهتمام بهذه اللحظات كتجربة جديدة جديرة بالعناية، كأنّها فرص خير أقبلت عليه وللأديب أن ينتهز هذه اللحظات السعيدة حتي لايفقدها، ويشير إلي هذه الفرص قائلاً:« كم في هذه الدنيا من أشياء جميلة، نفقدها كل يوم؛ لإنّنا لا نلقي إليها أنت باهناً في اللحظة المناسبة. بالأمس كنت في حجرتي منفرداً. كانت أبوابها مغلقة عليّ؛ لأنني في أعقاب توعك زال. وفجأة نظرت إلى النافذة المغلقة، فرأيت الشمس من ورائها توصوص لي بأشعتها. لقد احسست احساساً - غير متوهم - أنها تستأذن عليّ في لهفة، أنها تودّ لو أسمح لها بالدخول. كانت كالصبية الغريرة في مطلع الربيع! وما كدت أفتح لها النافذة حتى أشرق محياها الوضيء بابتسامة عريضة، و راحت تلقي بنفسها في فرح و شوق على أرضية الحجرة المتواضعة. كانت كأنّها ملكة تتخفف من التقاليد!»(قطب ،٢٠١٥م:٢٣٣).

وأمّا ما يجوز أن يدخل في القصة فهو تجارب الحياة للأديب ومن ثَمَّ، لايسمح الشعر للأديب أن يعرض تجارب حياته الواقعية في الشعر؛ ويري

الشعر تعبيراً عن اللحظات الخاصة في الحياة غير أن القصة يمكن لها أن تكون تعبيراً عن الحياة الواقعية كلها.

ومن هذ المنطلق، نجد أن سيد قطب، يري التجارب الواقعية كمادة أصيلة للعمل الأدبي وإذ يري القصة هي التي تصلح أن تكون همزة وصل بين الأدب و تجارب الواقع. ومع ذلك، يرفض أن تكون القصة ميداناً للغلو في الاتجاهات الاجتماعية والرمزية والتحاليل النفسية، وغير أنه لايعدّ هذا النوع من القصص فناً، بل هويقول:«ولكن الغلو في الاتجاه الاجتماعي كاد يحيل القصة توجيهات إجتماعية مباشرة أو نبرات إجتماعية موجهة، علي نحو ما يصنع ويلذ في معظم قصصه، لا عملا فنيا يخاطب الحاسة الفنية، ويجري في تاريخ الحياة الطبيعي المرسوم. والغلو في تحليل النفسي كاد يحيل القصة تسجيلاً لمشاهدات معملية! أو محضراً لجلسة تحليل النفسي! وهذا وذاك ليس فناً ولو أخذ الشكل الظاهري للفنون وكذلك حاول بعضهم في وقت ما أن ينشأ قصته رمزية، فأنت هينا إلي معميات لا ترسم حياة، ولا تصور نفوساً، ولست أحسب القصة ميداناً لاتجاه الرمزي إذا صح أن الشعر يقبل هذا الاتجاه.»(قطب،٢٠٠٣م: ٩١-٩٢).

فضلاً عن جميع ما سبق، يدخل سيد قطب "التراجم النفسية" في عالم الأدب، ويري أن هذه التراجم تضمن شتي تجارب الكاتب في حياته النفسية وحياته في المجتمع وحياته مع أبناء المجتمع، ولذا تصلح تجاربه أن تكون فناً من فنون الأدب؛ ولزم لها أن تضمن الشرطين :"التجربة الشعورية" و"العبارة الموحية عن هذه التجربة"، قائلاً:«التراجم الشخصية فن حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التاريخ، ودخل عالم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الأديب في موضوعه والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره

والتراجم علي هذا الوضع تشمل العنصرين الأساسيين للعمل الأدبي : "التجربة الشعورية" و" العبارة الموحية عن هذه التجربة.» (قطب ،٢٠٠٣م:١٠٢).

إن ما ترك لنا الكاتب من ترجمة حياته يعدُّ أفضل أنموذج لتجربة الحياة لكاتب ما، فهو يدخل كل تجارب طفولته بين دفتي كتاب "طفل من القرية". و نراه يصف القرية وما حدث فيها من الأحداث، وإليك ما أورده الكاتب في مقدمة كتابه:«هذه صور من حياة القرية عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أنمق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلي صفحة القرطاس. قليل من هذه الصور قد زال الآن وحلت محله صور جديدة ..وفي تسجيله هنا احتفاظ بصفحات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في سجل الفنون...»(قطب،١٤٢٨م:٣).وكذلك الحال عند روايته الشهيرة "الأشواك"؛ هو في هذه الرواية يعرض تجربة حبه الفاشلة وفي الحقيقة هذه الرواية تعد ترجمةً شخصيةً لمرحلة مهمة من مراحل حياته.

٢-٣-٤.الاهتمام بالتفاصيل

لسنا بمخطئين عندما نصرّ على أن الاهتمام بالتفاصيل له أكثر تناسقاً بالقصة منه بالشعر، لأن القصة تتمتع لوصف عناصرها المختلفة كالأمكنة والأزمنة والشخصيات وما فيها من شتي التفاصيل؛ ولقد كان سيد قطب يجيد في استخدام التفاصيل في الشعر والقصة؛ وأمّا اهتمامه بالجزئيات في الشعر، فهو عنده ميزة يفرّق بها بين الشعر العالمي والشعر العربي؛ فذهب إلي أن الشعر العربي يعاني من هذا الجانب لأنّه يغلو في الايجاز، ويهرب من التفاصيل، ويفرغ من وصف الحالات النفسية والخواطر الشعورية. ويري العيب كله في بلورة المعاني في شعر الحكم. و-كما أشرنا سابقاً- هو يعتقد بأنّ

الشعر يصور لحظات من الحياة ويجب أن يغور في وصف هذه اللحظات النفسية، من بداية الشعر إلي نهايته؛

لذلك نجده يهتم بالتفصيلات في الشعر ولاسيما في عرض الحالات النفسية والخواطر الشعورية، وهذه الميزة في الشعر أقرب إلي الرومانسية منها إلي الواقعية، و«يعتبر الشعر الغنائي بالنسبة للرومانسية مثالاً رائعاً على المنتج الأدبي الذي يعبر فيه الشاعر عن رد فعل شخصي عميق تجاه المكان أو الحدث أو الموقف، وفهم الشعر هو الفهم العاطفي للشاعر.» (لامارك،١٣٩٦م:١٧١). والكاتب في وصف هذه العواطف يلجأ بمعطيات علم النفس خاصة في عملية النقد؛ إذ نجده يفضل الشعر العالمي علي الشعر العربي من هذا الجانب، إذ يري أن معظم الشعر العربي يعمد إلي بلورة المعني وقلمّا يعني بتصوير الحالات النفسية، ووصفها، وبسط التجارب الشعورية. ومن جرّاء ذلك لا يذوق في الشعر العربي ما ذاقه في شعر الأروبي والهندي والفارسي. كما نجده يعتني ويعجب بشعر "حافظ الشيرازي" ويبحث فيه عن ضالته في الشعر العربي مقراً: «إن هذه الأغاني تجيء في وقتها المناسب والشعر العربي يعاني أزمة يحتاج فيها إلي مثل هذه الزاد...وأغاني شيراز تاتي في حينها المناسب لتساعد علي إنحسار الموجة الفكرية عن الشعر الحديث...تزيد من رصيد الغناء في الشعر العربي زيادة لها قيمتها...فقاري هذه الأغاني يستروح فيها عطر شرق البعيد، وبساطته، ومرحه، وغيبته وتصوفه، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلي استرواح هذا كله...و هذا التصوير لأسلوب حافظ في لغته يبدو- حتي لمن لايعرفون مثلي هذه اللغة- أكثر انطباقا، لأنه يتفق مع السمات النفسية للشاعر...»(قطب ،١٩٨٣م:٨١-٦٩).

ونراه يستفيد من هذه الميزة في التعابير الرومانسية ويستخدمها في وصف الحالات النفسية لشخصيات قصصه؛ ويقوم بوصف هواجسه وأحاسيسه في قصائده الرومانسية. وكثيراً ما يستفيد منها في وصف الكون والحياة وعناصر

الطبيعة كالوردة والزهرة والشجر و... كإنسان ذي أحاسيس ومشاعر، وعلي سبيل المثال يصف الكون في يوم الخريف بأنه واقف، ساهم، حائر، يائس وسائل:

وقف الكون ساهماً ليس يدري أين يمضي؛ وأين لوشاءيمضي
طالما دار بالأنام وداروا بين رفع الحياة وخفض؟
ثم ماذا؟ تسال الكون: ماذا؟ أحياة مابين غزل ونقض؟

(عبدالباقي ،١٩٨٩م: ٢٣٨)

ومن جرّاء هذه التفاصيل، ينتقل الكاتب كثيراً من المعلومات والمفاهيم إلي المتلقي، ومن استغلال هذه التفاصيل يهدف إلي ثراء قصائده وقصصه؛ وعلي سبيل المثال، ندرس بعض هذه التفاصيل في توصيف الشخصيات والأمكنة في"الأشواك " وفي "طفل من القرية" وهذه الأوصاف كثيرة جداً، وسنكتفي بنماذج لتبيين ما ذهبنا إليه. ونري في مثال الآتي كيف يصف الكاتب دورات المياه في قريته "موشة":

«كان في القرية حوالي عشرة مساجد مبنية كلها علي الطراز العتيق. وكانت دورات المياه بها عجيبة فهي مؤلفة من"مغطس" هو حوض مبني من الطوب ومطلي بالسمنت من الداخل والخارج، يملوه عامل خاص يمتح بالدلو من بئر المسجد ويصب فيه حتي يمتلي. وفي الحائط الخارجي للمغطس ركبت صنابير تصل من البناء مباشرة إلي الماء بداخله...» (قطب،١٤٢٨م :٣٣).

ويصف شخصية "السامي" في "الأشواك"فيقول: «ولم يكن في حاجة لكل هذا التوكيد. لقد كان أشوق منها لتمضية كل دقيقة بجانبها. كان في نفسه مشاعر غريبة: شعور العطف والاشفاق، وشعور اللهفة والحرمان، و شعور الغيرة والغليان، وشعور التسامي والايثار، وما لا يحصي من هذه الأحاسيس مجتمعات.» (قطب ،١٩٤٧م:٢٩).

وإليك ما أورده الكاتب لوصف شخصية "المجذوب" في "طفل من القرية":«ولكنه لايستطيع اليوم أن يسترجع صورتها دون أن يحس في جسده بقشعريرة تتخلل عظامه في صمت كإنّما استحال دمه إلي ماء مثلوج. هذا الرجل المشعث الشعر، الممزق الثياب، العاري احياناً من كل ما يستر الجسد، المنطلق في شوارع القرية وطرقاتها، وفي يده عصاه ينال بها كل شيء وكل أحد، وهو يرسل همهمة مختلطة مخيفة، أو يقهقه في صوت عال مرهوب.!»(قطب ،١٤٢٨م:٤).

ونخلص مما تقدم إلي أن سيد قطب في قصائده يحذو حذو الرومانسيين في وصف التفاصيل، ولكنه في قصصه تارة يكون واقعياً وتارة يكون رومانسياً، ومن الصعوبة بمكان أن نحدد في أية قصة هو يصف الشخصيات رومانسياً وفي أية قصة يصفها واقعياً ولكن يقتضي المنطق أن نستنتج مما سبق بأن الكاتب عندما يقوم بوصف التفاصيل الجسدية لشخصياته والأمكنة والأشياء فيقرب فيها إلي المذهب الواقعي وأمّا حين يعرض مشاعراً وأحاسيساً للشخصيات والأشياء وغيرها من المفاهيم(كالكون والحياة والطبيعة و ...) فهو يقرب فيها إلي المذهب الرومانسي. وبات واضحاً الآن أنه في وصفه لأحاسيس شخصية "السامي" في الأشواك يحذو حذو الرومانسيين وفي وصفه الجسدي لشخصية"مجذوب" في "طفل من القرية"يقتفي أثر الواقعيين.

٣-٣-٤.الخيال

عندما تتناول مفهوم الخيال ينصرف الذهن أوّل ما ينصرف إلي أنه من ميزات الأدب الرومانسي ويمكن أن نقول بأنه أبرزها. لأن الرومانسيين يفرّون من الواقع وليس لهم ملاذاً و ملجأ إلّا الخيال. ومن ثم يطلقون العنان لخيالهم ويرحلون إلي ما لايمكن الرحيل إليه في الواقع، فيصورون بهذا الخيال وينظرون بهذا الخيال ويعتقدون به ويسجدون له. لأنه حلّ محل العقل في

إدراكهم ومحل العين في نظرهم ومحل الحس في أجسادهم. لذا ما نري شاعراً أو كاتباً رومانسياً إلّا وهو يأخذ هذه المهمة علي عاتقه ويرحل، ويطير "علي بساط الريح" ويقطع علي نفسه عهداً بأن لا يرجع قلباً وقالباً إلي هذه الدار المعمورة إلّا حين يدرك ويحس، ويري ما يريد بين السماء والأرض، فيبقي معلقاً بينهما،كأنه يصل إلي برّ الأمان، ويري فيه ما يشبه الحقيقة، وتارة يبعد عنها ليصل إلي آماله البعيدة .أمّا الخيال في رؤية سيد قطب فهو مهمة للشاعر لأنه يعتقد كل الاعتقاد بأنّ خيال الشاعر يختلف عن خيال الناس:

النـــاس تقـــنع للحـــياة وتـرتضـي	مـــــنها مـــحاسن شـوهت بمثالـب
والشاعـــرون توزهـــم أدرانـهـــا	يبـغونـــها لـــم تمتـــزج بشـــوائب!
حس أرق مـن الأثـيـــر، يـهيـــجه	ماقـــد تـــمر عـــليـــه مرّ اللاعـب
وهـــي الحيـــاة: لم يـــرق شـعـــوره	ألمٌ و أن يكـــشف فلـــــذة راغـــب

(عبدالباقي،١٩٨٩م:٥٣).

ويوثر الخيال وما فيه من الهدوء والسكون والأحلام في قصته الخيالية الشهيرة "المدينة المسحورة"؛إذ يقول علي لسان الملك شهريار لشهرزاد :«لقدكانت تنقلنا على جناح الخيال إلى عوالم وآباد لامثيل لها فيما نحسه أو نراه. أن العالم المحسوس عالم ضيق يا شهرزاد بل عالم جاف مشوه قبيح. أن الحياة بلا خيال نوع من التحجر، والعيش بلا أحلام حيوانية بليدة... أو لازالت تملكين ياشهر زاد أن تردينا إلى العوالم المسحورة، وإلى الأكوان الحالمة، وإلى الآفاق الوضيئة، التي عشنا فيها ثلاثة أعوام؟»(قطب، ٢٠٠٦م:١٠). ونري الكاتب في هذه القصة يستخدم الخيال كمادة أصلية لحبكة قصته ولأزمنتها ولأمكنتها ولشخصياتها ولكل ما يمكن أن تقوم القصة عليه. ويمكننا أن نقول إنها تصل إلي ذروة الخيال الرومانسي، ومع هذا فإنّ أحداث القصة وماجري فيها تتشابه مع أحداث الواقع كالسياسة والخيانة وآلام

الشعب ومشاكلهم ومسألة الفقر والحرمان؛ بعبارة أخري أن الكاتب مشغول فيها بقضايا المجتمع في البلاد لتوجيه شهريار في إدارة البلاد، ومن خلالها يوجه الفرد والمجتمع نحو حياة أفضل من هذه الحياة المؤلمة، ويستخدم الرومانسية كمفتاح لفتح تلك الأقفال، وحلّ تلك المشاكل، ومن هذا المنطلق يمزج الرومانسية بالواقعية.

ويجدر بنا أن نشير إلي مصدر إلهامه في كتابة هذه القصة فهو يرجع إلي معايشته للعقاد وطه حسين، ومن خلال مكاتباته النقدية مع توفيق الحكيم، فالعقاد أوّل من دخل "قصة شهرزاد" إلي عالم الأدب العربي "سنة (١٩١٦م) ثم أخرج طه حسين وتوفيق الحكيم في سنة ١٩٣٦م قصة"القصر المسحور" وأخرج طه حسين وحده في سنة ١٩٤٢م قصة "أحلام شهر زاد " وهو في "المدينة المسحورة" أقرب إلي طه حسين في "أحلام شهر زاد". وربّما يأخذ سيد قطب عنوان قصته"المدينة المسحورة"من قصة"القصر المسحور". ولا يتم هذا التأثير إلّا فعادها أن يقوم سيد قطب بنقد "أحلام شهرزاد "و يقوم في نقده بالموازنة بين العقاد، توفيق الحكيم وطه حسين؛ ليصل إلي نتيجة أن العقاد في قصيدته «هو الأديب المحلل للنفس الإنسانية في الحياة ...وتوفيق الحكيم هو الفنان المعني بمسائل الذهن والفلسفة ...وطه حسين في قصته هو الأديب يشتغل بمسائل المجتمع.» (قطب،١٩٨٣م :١١٣). ونستطيع أن نستنتج من كلامه أن مادة القصة تصلح أن تكون خيالية ورومانسية، ومع هذا تهتم بقضايا حياة الواقع في شتي الموضوعات. ومن هذا المنطلق تمزج الرومانسية بالواقعية .

ويمكن لنا أن نري سيد قطب بكلمات محددة يبعدنا عن الخيال الرومانسي ويقربنا إلي الواقع إذ يقول:

«فعجيب أمر هذا الشاعر! فبينما جماعة من الناس يرون من المغالاة أن نشترط فيه ما أشترطنا، ويحسبون أن الشاعر لا يمتاز عن الجماهير بشيء من

احساسه، وإنّما يمتاز عنهم فقط، بأنه يستطيع التعبير في أسلوب خلّاب ... بينما جماعة يرون ذلك، إذ بآخرين يفهمون في الشعر إنه الخيال المطلق، الذي لابد- في اعتقادهم – أن يناقض الحقيقة، وهو كلما اشتط بعداً عنها، دلَّ علي عبقرية الشاعر في نظرهم ومن هنا نشأت الجملة المحفوظة"أصدق الشعر أكذبه" لأن الشاعر في نظرهم غير مسؤول، و ذلك أحط ما يمكن أن يصور به الشعراء.»(قطب ،١٩٩٦م:٣٢).

وبناء علي ماسبق، نستنتج بأنّ الخيال عند سيد قطب يختلف عمّا يعتقد به الرومانسيون، كما هو الواضح في تعريف الشعر عند"وردزورث" إذ يري الشعر« فيضان تلقائي لأحاسيس قوية» (٢٠٠٣:٦٣،Charles) ومن منطلق هذا التعريف يتضح بأن الرومانسيين لايعتبرون للخيال حدوداً، بل الخيال ليس باختيارهم وهو أمر تلقائي؛ ووجوه هذا الاختلاف تبدو أوّلاً:إن الخيال عندسيد قطب مهمة ملقاة علي عاتق الشاعر، ثانياً: يجعل حداً للخيال الشعري وثالثاً:إن الشاعر مسؤول عمّا يصور وعمّا يقول .

وهنا يرد إلي الذهن أسئلة أهمها: ما هي مسؤولية الكاتب؟ وما هي مهمة الخيال؟وما مدي حدوده عند سيد قطب؟للإجابة عن هذه الأسئلة نرجع إلي ما أورده الكاتب في النص الآتي:

«نحسب أن الخيال، هو صلة ما بين الإنسان القاصر والحقيقة المحجبة، التي تدق علي الأفهام، فينبعث الخيال يقرب هذه الحقيقة، وهو في ناحية أخري صلة ما بين إنسان وآماله البعيدة، التي لا يحققها له الواقع فيبعث إليها بشباك من خياله، يدنيها منه، ويقربه إليها، ليست مهمة الخيال إذن يشطط ويبعد عن الحقيقة حين يجدها .وهو إذا يصنع ذلك يفقد طبيعته التي هي ربط الصلة بين الفكر والحقيقة التي لم يهتد إليها بعد، أو بين الإنسان وآماله المترامية، حيث تنتهي مهمة الخيال ويكون قد أدّي واجبه المطلوب منه.» (قطب ،١٩٩٦م: ٣٣-٣٢) .

وكما هو واضح فإن الكاتب يري أن مهمة الخيال ومسؤولية الكاتب في استخدامه يتجسد في أمرين: أوّلاً: أنّ الخيال صلة بين الإنسان والحقيقة وثانياً:مسؤولية الكاتب هي أن يقرب الإنسان -باستخدام الخيال- من الحقيقة ولا يبعده عنها. ومن هذا المنطلق يبتعد الكاتب عن الاتجاه المغالي عند الرومانسيين الذين يطلقون العنان لخيالهم، بل أن (سيد قطب) أخذ بزمام الخيال كي لا يتجاوز عن حدوده. لذا يشترط للخيال أن لايكون فيه غلواً، ويجعل للمبالغة حداً يجب أن لا يتجاوزه الأديب. ومع هذا التفسير لايري الخيال سهواً بل يشترط فيه أن يكون متناسقاً يتلائم مع كل الأبيات، إذ يكون كل جزء من الأخيلة تكمل للآخر فتصبح أخيلة القصيدة جميعها متناسقة متلائمة، ومن جرّاء ذلك فلا نبحث عن وحدة الشعر في البيت أو الشطر بل نبحث عنها في القصيدة كلها.

وما يدفعنا إلي أن نري الكاتب يقرب- في خياله - من الواقعية هو ما يعتقد به الكاتب من تأثير الواقع والمجتمع والبيئة ودرجة الثقافة في خيال الأديب. إذ يري أن تنافر الأخيلة والصور قد يتأثر تارة من البيئة الطبيعية وتارة من درجة الثقافة التي تهذب الأذهان والاحساسات وقد يتأثر من الحالة الاجتماعية، وما فيها من ارتباط بين الأفراد، أو تنافر وشرود.

أمّا عناصر الخيال عنده فهي تتمثل في التصوير والحركة؛ وعندما يريد الأديب أن يتمتع بعنصر الخيال في الشعر يستخدم - في الغالب - التصوير والحركة بدلاً من كل عناصر الخيال. ويمكننا أن نتتبع عناصر الخيال كالتشبيهات والاستعارات في التصوير، ونتتبع الكنايات والمجازات في الحركة؛ ومن ثم نجده يؤكد علي التصوير فيعدّه ميزة في كل قصائده ولا نري قصيدة من قصائده إلّا وتتمتع بعنصري التصوير والحركة. وأمّا الحركة فهي ميزة تضيف علي الصورة حركة، وتتمثل في استخدام روح القصص للقصائد،

كانً القصيدة تبدأ بقصة وتنتهي بختامها وهذه الحركة القصصية تظهر أكثرها في الحوارات .

وقبل أن ناتي بالأمثلة، لابدلنا هنا أن نشير إلي أن مصدر هذه الفكرة عند الأديب المفكر؛ يستميد جذورها (التصوير والحركة) من القرآن الكريم، وينتهي الأمر إلي أن يكتب نظريته تحت عنوان "التصوير الفني في القرآن الكريم "؛ فيعرض ويفسر فيها دعائم نظريته،كما يقول:«لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، ولا ترقي مداركي إلي آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه ولكني كنت أجد في نفسي منه شيئاً، لقد كان خيالي الساذج الصغير، يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وإنها لصور ساذجة، ولكنها تشوق نفسي وتلذ حسي، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها، وأنا بها فرح، ولها نشيط.» (قطب،٢٠٠٤م: ٧).أما التصوير فإن سيد قطب يراه الأداة المفضلة في أسلوب القرآن وأن هذه الأداة تمزج بالحركة :«التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعني الذهني، والحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن نموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أوالحركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأمّا الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، وفيها الحركة؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقط إستوت لها كل عناصر التخييل.»(قطب ،٢٠٠٤م:٣٦).

لذلك يمكن لنا أن ندعي بأنّ قصائد سيد قطب كلها لوحات مصورة، وهي تدل علي موهبة سيد قطب التصويرية التي يستمد جذورها من القرآن الكريم، كما نجده متأثراً بتصاوير القرآن الكريم خاصة في المشاهد التي يصورها في قصيدة "الصبح يتنفس" وقد تأثر فيها بصور القرآن الكريم في آيات

سورة تكوير: فلا أقسم بالخنّس (١٥) الجوار الكنّس (١٦)والليل إذا عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس(١٨):

نسمات زفّها الفجر الوليد بعد ما جاش بها صدر الحياة
ناعمات مثل أنفاس الورود بلل الطل شذاها بنداه
كانت الدنيا يغشيها السكون وظلام الليل والنوم العميق
طفلة قد ضمها الام الحنون ضمة الرحمة كالأم الشفوق
وتراءي الصبح في سمت بديع فإذا الطفلة تصحو من سبات

(حنفي ،٢٠٠٨م :٢٢٤).

وفضلاً عن موهبته التصويرية، نجد الكاتب يزيد علي قصائده روح القصص وينفخ فيها الحركة ويحييها كما يحب. وإليك ما أورده في تصوير" الإنسان الأخير":

صحا ذات يوم حين تصحوا البواكر وتستيقظ الدنيا وتجلو الدياجر
ويشرق وجه الصبح في غمرة الدجي كما تشرق آمال واليأس غامر
وأوغلَ في إطراقةٍ ملوها الأسي فمرت عليه الذكريات العوابر
تحث خطاها موكبا أثر موكب وقد جاورت فيها الماسي البشائر
وأقبلت الآمال واليأ س حولها تمزقها أنيابه والأظافر
وجمع فيها الخير والشر رابط من النفس مشدود إليها مخامر
وشتي عبادات وشتي عقائد يؤلفها ايمان وهي نوافر
وفيها من المجهول سر وروعة ورغبة محروم وخوف مساور

(حنفي،٢٠٠٨م: ١١٤-١١٣).

تبدأ هذه القصيدة بتصوير الإنسان الذي يستيقظ من نومه ذات يوم؛ وهذا الاستهلال يشبه بالأسلوب القصصي القديم التي تبدأ القصة فيه بـ"كان ما

كان" و"كان يوم ..." وبعد هذ الاستهلال القصصي نجده وكأنه يصوّر شخصية من شخصيات القصص بصورة متحركة تعبر عن أحاسيس "الإنسان الأخير". وحياة القصصي(روح القصصي) واضحة ومتناثرة في جميع المشاهد التي يقوم الكاتب فيها بتصوير الذكريات التي تعبر فيه "الإنسان الأخير".

ويتمثل روح القصصي تارة – كما أشرنا - في استهلال القصائد وتارة يتمثل في الحوار بين الشخصيات التي يخلقها الكاتب ببراعة وهنا يوضح المثال ما لايوضحه المقال، وإليك هذا الحوارالذي دار بين نخلتين: إحداهما طويلة والأخري صغيرة في قصيدة "في الصحراء":

ما لنا في ذلك القفر هنا ... مابرحنا منذ حين شاخصات
كل شيء صامت من حولنا ... وارنا نحن أيضا صامتات
أفلا تدرين يا أختي الكبيرة ... ما الذي اطلعنا بين اليباب؟
أنا يا أختاه لا أدري الجواب ... ودفين السر لم يكشف لنا

(عبدالباقي،م ١٩٨٩: ١١٨-١١٧).

يبدأ هذا الحوار القصصي من بداية القصيدة ويسير بها إلي نهايتها، فيخلق جواً قصصياً لايدري القاري أهو يقرأ قصيدة أم هو يقرأ قصة خيالية.

نستطيع أن نستخلص مما سبق، أن سيد قطب يعتني بالخيال ويراه ميزة للشاعر، ولكنه لا يجد ضالته في الأخيلة كالرومانسيين المغالين، بل يضع لها حداً، ويشترط بأنّ لا يناقض الخيال الحقيقة، بل يهدف إلي أن يقرب الخيال الإنسان من الحقيقة، ومن هذا الرؤية يدخل الخيالَ في عالم الواقع؛ وتتبعنا هذه الفكرة في قصة"المدينة المسحورة". ويصل بنا الحديث إلي أنه يجد ضالته في التصوير والحركة -متأثرا بالقرآن الكريم – كعنصران رئيسيان للخيال ومن ثم إهتم بخلق اللوحات التصويرية المتحركة وكلّل سعيه ذاك بالنجاح طبعاً.

بعد أن إنتهينا من دراسة القواسم المشتركة بين الواقعية والرومانسية في أعمال سيد قطب الأدبية والنقدية، حري بنا أن نتصدي لدراسة الواقعية وملامحها في أعماله فيما يأتي:

٤-٤.سيد قطب و الواقعية

إن اصطلاح الواقعية كان موجوداً في الفلسفة منذ وقت طويل، فقد كان معناه الإيمان بواقعية الأفكار، وكان نقيض السينمائية التي اعتبرت الأفكار مجرد أسماء أو تجريدات. فمرّ بهذا المذهب من تطورات عدة إذ نري أن "غوستاف بلانش" سنة ١٨٣٣م، استخدم مصطلح الواقعية بمعني المادية رداً علي الرومانسية. في رأيه تهتم الواقعية بالشكل الخارجي كشكل الدرع الذي يوضع علي باب القلعة أكثر من اهتمامها بالقلعة، أو بالألوان الموجودة علي رأيه يحملها فارس جرّب ألم الحب أكثر من شعوره بالألم.

(1835:837، Moraalite de poesi)

أما إستعمال هذا المصطلح في الأدب فبدأ في فرنسا سنة١٨٢٦م فسرعان ما ترددت أصداء الواقعية الفرنسية في الولايات المتحدة الأمريكية إذ تحمس لها كثير من النقاد كـ"هنري جيمس"ثم تطرق بها "ماركس وإنجلز" في الألمان.كما أنه بدأ استخدام مصطلح الواقعية في روسيا في ستينيات القرن التاسع عشر حيث إتخذه بعض النقاد شعاراً لهم (فضل،٢٠٠٤م:١٨-١٩)و (ويليك،١٩٧٨م:١٥٤-١٥٥) وأما الأدباء العرب فأخذوا الواقعية عن الغرب وكان ذلك يحدث أول الأمر في القصص القصيرة التي بدأ بها محمد تيمور، وتلاه فيها أخوه محمود، و...(خضر،١٩٦٧م:١٥)

أما لو نظرنا، نظرة عابرة، إلي قصائد سيد قطب، فلا نجد قصائد واقعية في الموضوع والتعبير إلّا القليل بما لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، لأنها أغلبها -كما سبق وقلنا- رومانسية التعبير وأحيانا واقعية المفهوم؛ لذا من الصعب العثور علي القصائد التي تجتمع فيها الواقعية في المفهوم والتعابير. وهذا القليل من القصائد الواقعية نظمها الكاتب قبل عشرينيات القرن العشرين الميلادي كقصيدة "إلي بلاد الشقيقة" وقصيدة"مأسأة البداري"و

قصيدة "صوت الوطنية" وقصيدة" مهرجان"وقصيدة "البطل"وهو ينادي مثلا في قصيدة "البطل" الشباب المصري، الذين يفقدون رجولتهم ولا ينتبهون إلي قضايا المسلمين الواقعية خاصة بعد موت السيد "العبيد" رئيس جمعية اللواء الأبيض في سودان .

يـا شـباب الـشـرق هـذا موقـف تقشـعر الأرض منـه والـسـماء
ودم المـختار مـازال نديـا يسـتحث الـخائنين الضعـفاء
يـا شـباب الشـرق والشـرق إذا لـو تكونـو جنـده ضـاع هبـاء...
يـا شبـاب النيـل ماذا؟ويـحكم أفـأنتم حـيث يحيـيكم دعـاء؟
يـا شـبابا ناعمـا مستانـثا كـذوات الخـدر في ظـل الخبـاء!
يـا شـبابا تافـها محتـقرا تـأنف الأجيـال منـه في الـلإزدراء
يـا شـبابا هـمّه لذاتـه فهـو يـحيـا بيـن كـأس والـخـناء
يـا شـبابا قصـرت آمالـه كخشـاش الأرض مرمـاه الغـذاء!
يـا شـباب النيـل هـل أبصـرتمو في فـق السـودان كيـف الشـهداء؟

(حنفي ،٢٠٠٨م: ٢٥٢-٢٥١).

ومن الجدير بالذكر، أن التعابير والمفاهيم هنا كلها واقعية تنبعث من حادثة بل كارثة يعاني منها الشاعر، فهويشكو من شباب النيل الذين لا يعتنون إلّا بالقضايا اليومية، فيقوم بتوجيههم إلي السعي والاهتمام بمسائل المسلمين كلها. ولا يهتم الكاتب بواقع المجتمع في قصائده إلّا قليلا، ويرجع هذا إلي رؤيته إلي قضية الشعر، فهو يري بأنّ الشعر ليس له القدرة علي التطرق إلي مسائل المجتمع، والمهم في الشعر أن يتناول لحظات الحياة، ولذا لايمكننا أن نجد أكثر مما ذكر من القصائد الواقعية في ديوانه؛ ومن الواجب أن نبحث عن الواقعية في قصصه التي نشرها الكاتب في أربعينيات القرن العشرين. ولا يخفي

علي المتتبع لأعمال سيد قطب بأنّ هناك مسافة هائلة بين أفكار سيد قطب - الأدبية والنقدية- قبل الأربعينيات وبعدها، وهو ما يثير أكثر من علامة إستفهام لايتم الجواب عليها إلّا حين تتحقق دراسة حياته التي توثر تأثيراً عميقاً وكلياً في كل جزئيةٍ من جزئيات أفكاره وأعماله الأدبية وغيرالأدبية. ولذا قبل التصدي لدراسة الواقعية في أعمال سيد قطب بعد الأربعينات يستدعي منا استحضار أمرٍ له أكثر من تأثير في حياة سيد قطب الأدبية والنقدية، لاسيما في اتجاهه نحو الواقعية الإسلامية وهي التي نقلته من الأدب الغربي إلي الأدب الإسلامي وكانت نقلته تلك بالتدريج، وكان متأثراً بالقرآن- وقد أشرنا سابقاً إلي مدي تأثير القرآن علي الكاتب في قضية التصوير الفني- إذ حاول أن يدرس القرآن دراسة أدبية وعاش في ظلاله و«الحياة في ظلال القرآن نعمة ...نعمة لايعرفها إلّا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ..والحمدلله لقد منّ الله عليّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمة مالم أذق قط في حياتي ...لقد عشت أسمع الله – تعالي- يتحدث إليّ بهذا القرآن ...» (عاشور،٢٠٠٩م: ٦١).

يغنينا عن القول في بيان تأثير هذه النقلة في أدب سيد قطب فيما يورده الكاتب " في ظلال القرآن" قائلاً:«ويختفي شعور كالشعور الذي عشته في فترة من فترات الضياع والقلق، قبل أن أحيا في ظلال القرآن، وقبل أن يأخذ الله بيدي إلي ظله الكريم، ذلك الشعور الذي خلعته روحي المتعبة علي الكون كله وعبّرت عنها أقول:

وقـف الكـون حـائرا أيـن يـمضي؟ ولـماذا؟ وكيف – لوشاء – يمضي؟

عبـــث ضـــائع و جهـــد غبيـــن ومصيـــر مقنّـــع ليـــس يـــرضي

فأنا أشعر اليوم- ولله الحمد والمنة- أن الكون لايقف تلك الوقفة البائسة أبداً، فروح الكون تؤمن بربها وتتجه إليه، وتسبح بحمده. والكون يمضي وفق

ناموسه، الذي أختاره الله له، في طاعة، و في رضاء وفي تسليم...فأنا أعرف اليوم –ولله الحمد والمنة – إنه ليس هناك جهد عنيف، فكل جهد مجزي، وليس هناك تعب ضائع، فكل تعب مثمر، وإن المصير مرض، وإنه بين يدي عادل رحيم!» (قطب، ١٤١٥ق:ج٦: ٢٣٥٢-٢٣٥٣) .

هذا النص تجتمع فيه أهم المفاهيم الفكرية والاعتقادية لسيد قطب حول الكون وكذلك الحال عند شتي القضايا الفكرية كالحياة والإنسان والآخرة والغيب ...ويجد نفسه وهو غارق في لجج أفكاره الغربية الضالة، فيبذل قصاري جهوده لكي ينزه نفسه من أدران هذه الأفكار فينتج عن ذلك الصراع أنه يهدم كل ما سبق- خاصة ما يرتبط بأفكاره في ديوان" الشاطي المجهول"- ليبني بناء جديداً علي القواعد الإسلامية؛ ويخبرنا يوسف العظم عن سيد قطب قائلاً:«غير أن أستاذنا في أخريات عهدنا به، كان يصرح بأنّ الديوان ﴿الشاطي المجهول﴾ أثر من آثار جاهليته، وكم كان يحب أن تصل يده إلي كل ما جاء فيه في كل نسخة وصلت أيّة بقعة في الأرض حتي يأتي عليه.»(الخالدي،١٩٩٤م :٢٢١).

ينم هذا الكلام عن ميل سيد قطب إلي دفع ثمن هذا الضياع مهما كان غالياً؛ ليربح في هذه التجارة فيقوم بنقد ديوانه بكلمات قاسية فيقول:«ذلك إنه ﴿أي:سيد قطب الشاعر قبل الأربعينيات﴾ راض عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا﴿أي:سيدقطب الناقد بعد الأربعينيات﴾ فلست راضياً عنها إلّا بمقدار، وما أزال أتطلع إلي مثل عليا، كما أخذ عليه بعض أنواع الضعف والخطا، وما يشبه الضعف أو الخطاء في بعض الأفكار وبعض الألفاظ.» (حنفي،٢٠٠٨م : ١٦).

وسبب هذ الشعور- كما سبق- يرجع إلي نقلته التي انتقل بموجبها إلي الأدب الإسلامي، فنجده ينظر بالمنظار الإسلامي لكل قضاياه الأدبية والنقدية. فيصبح بعدها من الذين يدعو إلي الأدب الإسلامي، و رائداً له،

فقام بإنشاء "مكتبة القرآن الجديد" وأخرج منها كتبه الثلاثة:" التصوير الفني في القرآن الكريم"، و "مشاهد القيامة في القرآن" و "في ظلال القرآن الكريم" و نسج خيوط هذه المكتبة حتي أعلن إنه سينشر أربعة كتب أخري، وهي "القصة بين التوراة والقرآن" و"المنطق الوجداني في القرآن"و "النماذج الإنسانية في القرآن"و أساليب العرض الفني في القرآن"ولكن حياته السياسية وظروفه القاسية لم تسمح له الفرصة حتي ينشرها، بل عدل عنها بسبب انضمامه إلي حركة الإخوان المسلمين، ليموت وتعيش أفكاره .

إذ سيد قطب ينظر إلي الأدب علي أنه تعبير عن القيم، وليست هذه القيم إلّا منبثقة من تصور الأديب للحياة والإنسان والكون، و«كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين كون الإنسان يشعر بأنّ له تصوراً خالصاً للحياة أو لا يشعر، لأن هذا قائم في نفسه علي كل حال. وهو الذي يحدد قيم الحياة في نظره، ويلون تأثيراته بهذه القيم.» (قطب ، لاتا:١٢).

ويورد من الشاعر الإيراني "عمر الخيام" هذه البيت نموذجاً

«لبست ثوب العمر لم أستشر وحرت فيه بين شتي الفكر»

(قطب ،لاتا١٢).

ويستنتج قائلاً«كان له تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون. ومن هذا التصور انبعث كل ايقاعاته، وتلونت قيم الحياة في نفسه.» (قطب ،لاتا: ١٢).

وهكذا لا يفصل سيد قطب الأدب عن تصورات الأديب، ومن ثم يهدف إلي تفسير وبيان التصورات الإسلامية للكون وللإنسان وللحياة في الكتابين القيمين "خصائص التصور الإسلامي" و"مقومات التصور الإسلامي". فأصبح أديباً إسلامياً واقعياً؛ يبذل قصاري جهده ليثبت أن دين الإسلام دين واقعي

ينظر إلي الكون والإنسان والحياة بنظرة واقعية، ومن منطلق هذا التصور يري بأن الأدب من أخصب الميادين لتناول مسائل الإنسان والمجتمع والكون، و كذلك يمزج بين الفكرة والعاطفة والخيال، وفي الحقيقة يمزج بين رومانسية التعبير وواقعية الأفكار.

ومن هنا ينتظم الأساس الذي بني عليه سيد قطب بنيان عقيدته تجاه الواقعية في الأدب، ويصبغها بصبغة إسلامية وأساس هذه الواقعية ثابتة، وهذه الميزة تجعلها أن تكون موجهة تهدف إلي التحسين والإصلاح وتغيير هذا الواقع : «الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه ، بحكم أن الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة، وهو لا يرضي بالواقع في لحظة أوجيل ولايبرره أو يزينه لمجرد إنه واقع، فمهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه.»(قطب، لاتا:١٨).

ولا يمكنا القيام بهذا الإصلاح وهذا التحسين عن طريق الواقعية الغربية المادية التي تعتمد علي «الطبقة التي تتمتع بأدوات الانتاج المادية، فهذه الطبقة تسيطر- علي كل حال- علي أدوات الانتاج الذهني، فأمّا الذين لم يكن لديهم أدوات انتاج الذهني فيقون علي تحكم هذه الطبقة.»(هارلند،١٣٨٦م: ١١٨).و«حين يسيطر المنطق المادي النفعي الموقّت علي التفكير الإنساني، الفطري في الأصل، يحرّفه عن وجهته الصحيحة، ويمسخ حدوده، ويعمي السبل أمامه فلا يتبين وجهته، ولقد كان واقع الأرضي دائماً جزءاً صغيراً جداً من واقع متسع الآفاق»(ساعي،١٩٨٥م:١٥).

ويمكن أن نشير إلي قصيدة سيد قطب الأخيرة التي أهداها إلي أخيه تحت عنوان " أخي "فهي برهان علي ما سقناه في معرض دراسة واقعيته الإسلامية، ونشير من خلالها إلي أبرز ملامح واقعيته الإسلاميه وبالاختصار نشير إلي أبرز الفوارق بين واقعيته الإسلامية والواقعية الغربية والاشتراكية.

إن سيد قطب ينادي في بداية القصيدة أخيه وينادي به كل مسلم وهو يتطلع إلي المستقبل الزاهر، وليس هذا الأمل للمستقبل إلّا من نتائج تصوره الواقعي الإسلامي، «فالواقعية الأروبية واقعية نقدية تعني بوصف التجربة كما هي، حتي لو كانت تدعو إلي التشاؤم العميق الذي لا أمل فيه، حين تحتّم الواقعية الاشتراكية أن يثبت الكاتب في تصويره للشر دواعي الأمل في التخلص منه فتحاً لمنافذ التفاؤل حتي في أحلك المواقف ولو أدّي إلي تزييف الموقف بعض الشيء...أمّا الواقعية الإسلامية، فإنها مع انتقادها للواقع-تنطلق في انتقادها من التصور الاسلامي...فان الأمل في الواقعية الإسلامية، هو أمل إيماني يقوم علي أساس نصر الله في كل الأحوال، حياة وموتاً، إنها باختصار ترفض التشاؤم كما ترفض التفاؤل الذي يقوم علي الخداع أو التزييف.» (القاعود،١٩٩٤م: ١٧-١٦).

وينظر إلي الإنسان بأنه حر بمقتضيات التكوين و علي حد طاقاته التي يعطيها الله له، خلافاً عن الواقعية الغربية التي ترفع الإنسان إلي مقام الألوهية وخلافاً عن الذين يحتقرونه ولا ينظرون إليه إلّا من منظار الشر. ويري أن القيود والسدود تتناسق مع الفطرة الإنسانية وستبيد يوماً بالعمل والحركة.

أخـي أنـت حـــر وراء الـسدود أخي أنت حـــر بـــتلك القيـــود
إذا كنـــت بـــالله مستـــعـــصما فمـــا ذا يـــضيرك كـيـــد العبيـد
أخـي ســـــتبيد جيـوش الظـلام ويـــشرق في الكـون فجـر جديـد
فاطلـــق لروحـــك اشراقـــها تـري الفـجر يرمـقنـا مـن بعيـد

ويصف معاناة الجيل المسلم وهو يرنو إلي مستقبل قابل للتحقيق، بصبر جميل منبعث من تصوره الإسلامي وهذا هو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية التي تفصل الإنسان من الروح وتحسبه جسداً مادياً لامهرب من هلاكه ولا أمل لحياته الأخروي .

أخـي قـد اصـابك سـهم ذلـيـل وغـــدرا" رمـاك ذراع كلـــيل
ستبتـــر يومـا" فصبـــر جـــميل ولم يـــدم بعـد عريـــن الاسـود
أخـي قدسـرت مـن يـديك الـدماء ابـت أن تـشـــل بقـــيد المـاء
ســـترفع قربانهـــا.... للســـماء مخضبـــة بوســـــام الخـــلود

وهو يدعو هنا المسلمين إلي المقاومة والكفاح لإصلاح مجتمع المسلمين لتكريم الإنسان؛ وهو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية التي تبني علي الحقد الطبقي فحسب.«وإذا كانت الواقعية الانتقادية والواقعية الاشتراكية توجهان سهام نقدهما للطبقة الوسطي (البرجوازية) لأنها ظلمت الطبقة الدنيا، وأنزلت بها أسوأ أنواع القهروالغبن عندما وصلت إلي السلطة، فإن الواقعية الإسلامية ...تنتقد الفئة الظالمة والأفراد الظالمين أيا كان انتماؤهم، إلي الطبقة العليا أو الطبقة الوسطي أو الطبقة الدنيا، علي السواء.» (القاعود،١٩٩٤م:١٨).

أخـي هـل تـراك سـئمت الكفـاح والقيـت عـن كاهليـك السـلاح
فمـن للضـحايا يواسـي الجـراح ويرفـع رايتهـا مـن جديـد
أخـي هـل سـمعت أنـين الـتراب تـدك حصـاه جيـوش الخـراب
تـمزق أحـشاءه بالحـراب وتصـفعه و هـو صـلب عنيـد

ويصور نفسه كالبطل الذي يلعب دوره في الكفاح ولابد من الإشارة علي أنّ البطل في الأدب الواقعي الإسلامي يجب أن يكون إنساناً عادياً «وفي الوقت ذاته يبلغ الإنسان أقصي كماله الإنساني المقدر له، عن طريق العمل والحركة، وتلبية الطاقات والأشواق لا كبتها أو كفها عن العمل ولا إهدار قيمتها، واستقذار دوافعها.» (قطب ،٢٠٠٢م: ١٨٧-١٨٦) وهذه الفكرة منبعثة من تصوير شخصيات الأنبياء- عليهم السلام -في القرآن عندما يصفهم الله بأنّهم بشر مثلكم التأكد من الآية القرآنية الكريمة "...قل أنا بشر مثلكم..."

أخي إنني اليوم صلب المراس ادك صخور الجبال الرواس
غدا" ساشيح بفاس الخلاص رؤوس الافاعي إلي أن تبيد
أخي أن ذرفت علي الدموع و بللت قبري بها في خشوع
فاوقد لهم من رفاتي الشموع وسيروا بها نحو مجد تليد

وهذا هو المصير الذي يرسم لكل من يهاجر إلي الله وفي هذا التصور الإسلامي تمتزج الواقعية الإسلامية بالاعتقاد بالغيب ويري بأنّ الاعتقاد بالغيب،يلبي حاجة الفطرة البشرية إلي مجهول. وهو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والواقعية الغربية «أمّا الواقعية الإسلامية فتتجاوزالبصر إلي البصيرة(الاعتقاد بالغيب)، فتري بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لايمكن للعلم بأرقامه وقوانينه الأرضية أن يراه. (ساعي،١٩٨٥م:١٧).

أخي أن نمت نلق احبابنا فروضات ربي اعدت نا
و اطيارها رفرفت حولنا فطوبي لنا في ديار الخلود...
فان انا مت فاني شهيد وأنت ستمضي بنصر جديد
قد اختارنا الله في دعوته وانا سنمضي علي سنته
فمنا الذين قضوا نحبهم ومنا الحفيظ علي ذمته

وليس مطلباً عسير المنال أن يثور الكاتب لربه ولدينه، فإن جذور عقيدته ضاربة في تصوره الإسلامي للدين والإسلام عنده دين للواقع، دين يدعو للحياة، وللحركة، ودين يدعو للعمل والنتاج والنماء، دين تطابق تكاليفه للإنسان فطرة هذا الإنسان، وهو مفترق الطريق بين الواقعية الإسلامية والاشتراكية التي لا تعتقد بالدين وتكون محور حركتها الصراع الطبقي.

سأثار لكن لرب و دين وامضي علي سنتي في يقين
فأمّا إلي النصر فوق الانام وأمّا إلي الله في الخالدين

ويسعي أن يكون أدبه موجهاً لتوجيه الفرد والمجتمع ويعد ذلك التوجيه الرسالة الخلفية للواقعية الاسلامية فيعتني سيد قطب بالتعبير عن هموم المظلومين والمقهورين والمستضعفين من عامة الناس. ولكن ينصرف من الشعر والقصص إلي كتابة المقالات الأدبية والاجتماعية. فهو يعتقد كل الإعتقاد بأنه يمكن أن يجعل المقالة في جدول الأعمال الأدبية إذ يري في المقالة تصور انفعال كاتبها تجاه مؤثر ما فيتشابه المقالة بالقصيدة. ويقوم في وقت نفسه بكتابة الكتب الاجتماعية ويصور فيها أهم مسائل الاجتماعية كأنّها مفاتيح لفتح أقفال التي يصورها سابقا في قصصه. مثلاً كان نشر من قبل قصة "طفل من القرية" ويصف فيها الفقر والقضايا الاجتماعية، ثم يكتب كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" يصور في هذا الكتاب نفس القضايا التي أوردها في قصته المذكورة بشكل آخر. ويري أن الحل الوحيد هو الرجوع إلي حضن العدالة الإسلامية، ومثل هذا يكتب "السلام العالمي والإسلام " و"دراسات إسلامية" و"هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين"و "الإسلام ومشكلات الحضارة"و "معالم في الطريق".

٥.النتائج

أولاً: إنّ أعمال سيد قطب الشعرية - قبل أربعينيات القرن العشرين- تنضوي تحت الرومانسية وملامحها متناثرة في كل قصيدة ؛ والمهم هنا، إنه لم يبق علي وتيرة واحدة بل غيرَ بتغيير ظروف حياته وهذه الظروف تدفعه إلي أن يتأرجح بين الرومانسية والواقعية..

ثانياً: يهتم الكاتب بالقواسم المشتركة بين الرومانسية والواقعية .فهو يتأرجح بينهما، ومن تلك القواسم التجربة و الاهتمام بالتفاصيل وأسلوب الخيال؛ وفي ظلال هذه القواسم يعارض سيد قطب "التجربة العلمية" ويري "التجربة الأدبية " كمادة أصيلة للعمل الأدبي وفي الوقت نفسه يسعي أن يبين مجالات "التجربة الأدبية". وهو يري بأنّ الشعر له أرضية مناسبة لأن يكون ميداناً لعرض تجربة اللحظات، والقصة لها أرضية

مناسبة لأن تكون ميداناً لعرض تجارب الحياة. ومن هنا يهتم ببيان تفاصيل هذه التجارب والاتجاه السائد عنده الترحيب بتعدد الأساليب ورغم هذا يمكن أن نستنتج بأنه قام تارة بوصف الأحاسيس والمشاعر كالرومانسيين وتارة مال في وصفه إلي الواقعيين خاصة عندما يصف عناصر قصصه أو شعره وصفاً جسدياً شكلياً. وبعد تتبعنا لمفاهيم الخيال عند سيد قطب، لاحظنا بأنه لا يغور في الأخيلة كالرومانسيين، بل يضع لها حدوداً حتي لايتجاوز خيال الأديب الحقيقي أوّلا وأن تقرّب القاري إلي الحقيقة ثانياً. ومن منطلق هذا الاتجاه يبتعد الكاتب عن الرومانسية ويقترب إلي الواقعية. وأمّا مجالات الخيال عنده فهي تستقر بين التصوير والحركة. ويستمد سيد قطب جذور هذا الخيال – التصوير والحركة- من القرآن الكريم ويحذو حذو القرآن كما تبدو ميزات التصوير والحركة في غالب أعماله الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

الكتب

١. حنفي حسن(٢٠٠٨م)، ديوان سيد قطب الأعمال الشعرية الكاملة، دمشق،مركز الناقد الثقافي، الطبعة الأولي .

٢. الخالدي صلاح عبدالفتاح(١٩٩٤م)، سيد قطب من الميلاد إلي الاستشهاد، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية.

٣. خضر عباس،(١٩٦٧م)، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد مديرية الثقافة العامة.

٤. ساعي احمد بسّام(١٩٨٥م)، الواقعية الاسلامية في الادب والنقد،السعودية، جدة، دار المنارة،الطبعة الاولي.

٥. عاشور وصفي ابوزيد(٢٠٠٩م)، في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري،مصر،صوت القلم العربي، الطبعة الأولي .

٦. عبدالباقي محمد حسين (١٩٩٣م). سيد قطب، حياته و ادبه، منصورة، دارالوفاء، الطبعة الأولي .
٧. عبدالباقي محمد حسين(١٩٨٩م)، ديوان سيد قطب، القاهرة، دار الوفاء، الطبعة الأولي .
٨. فضل صلاح(١٩٨٠م)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة دار المعارف.
٩. القاعود حلمي محمد(١٩٩٤م)،الواقعية الاسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية،دم،دط.
١٠. قطب سيد (٢٠٠٢م)، خصائص التصور الإسلامي ومقومانه، القاهرة،دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر.
١١. قطب سيد(١٤١٥ه) في ظلال القرآن،المجلد السادس، القاهرة ، دار الشروق، الطبعة الثالثة والعشرون.
١٢. قطب سيد(١٩٤٧م)، الأشواك، قاهرة، دارسعد.
١٣. قطب سيد(١٩٨٣م)، كتب وشخصيات، القاهرة، دارالشروق، الطبعة الثالثة.
١٤. قطب سيد(١٩٩٦م)،مهمة الشاعر في الحياة وشعر جيل الحاضر، منشورات الجمل، كولونيا-المانيا، الطبعة الأولي.
١٥. قطب سيد(١٩٩٧م)، مقومات التصور الإسلامي، القاهره، دار الشروق ، الطبعة الخامسة.
١٦. قطب سيد(٢٠٠٣م)، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثامنة.
١٧. قطب سيد(٢٠٠٤م)، التصوير الفني في القرآن، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر.
١٨. قطب سيد(دت)، في التاريخ فكرة ومنهاج،القاهرة، دار الشروق،د ط.
١٩. قطب سيد،(١٤٢٨ه)، طفل من القرية،منشورات الجمل، كولونيا –المانيا، الطبعة الأولي .
٢٠. قطب سيد،(٢٠٠٦م)، المدينة المسحورة ، دن،دط.
٢١. قطب سيد،قطب محمد،قطب امينة،قطب حميدة(٢٠١٥م)، الاطياف الاربعة، مركز الإسلام العربي، الطبعة الأولي .

٢٢. لامارك پيتر،(١٣٩٦ش)،فلسفه ادبيات،ترجمه ميثم محمد اميني،تهران،فرهنگ نشر نو،چاپ اول.
٢٣. مندور محمد. (١٩٩٨ م). الأدب ومذاهبه. القاهرة.
٢٤. هارلند ريچارد،(١٣٨٦ش)ترجمه دكتر بهزاد بركت ،ديباچه اي تاريخي بر نظريه ادبي از افلاطون تا بارت،دانشگاه گيلان،چاپ اول.
٢٥. ويليك رينه(١٩٧٨م)، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، الكويت: عالم المعرفة.
26. bressler Charles e ، (٢٠٠٣م) ،literary criticism an introduction to theory and practice ،Indiana Wesleyan University٥ ،th Edition ، Second Printing.
27. Moralite de la poesie, Revue des deux mondes, I, ١٨٣٥.

المقالات

١. احمدزاده علي،روشنفكر كبري(١٣٩٥ش). واكاوي روانشناختي مضامين مشترك در أشعار سيد قطب و ديوان تركي شهريار،ادب عربي ، العدد الاول،ص ١٩-٣٨.
٢. سرباز حسن(٢٠١٠). سيد قطب و تراثه الأدبي و النقدي، اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد العاشر، ص٤١-٥٦.
٣. سليمي علي ، نعمتي فاروق ،(١٣٩١ش). سيد قطب وملامح الرومانسيه في شعره، دراسات في العلوم الإنسان ية،العدد الرابع، المجلد١٩،ص١٧-٣٥.
٤. معروف يحيي ، نعمتي فاروق(١٣٩٠ش).بررسي تطبيقي رمأنت يسم در أشعار سيد قطب و نادر نادرپور، أدبي ات تطبيقي، العدد الخامس، ص ٢٥٣-٢٧٨.
٥. ملازاده ريحانة(١٤٣١ه). الرومانسية في شعر سيد قطب، التراث الأدبي ،العدد السابع، ص ١١٩-١٣٤.
٦. نعمتي فاروق؛ سليمي علي ؛ اميري جهانگير(٢٠١٤م). سيد قطب شاعراً (دراسة وتحليل في خصائصه الشعرية)، اللغة العربية وآدابها، ص ٣٤١-٣٦٨.
٧. نعمتي فاروق ؛ أميري جهانگير ؛ سليمي علي ؛ كريمي عبدالسلام (١٣٩٣ش). الإغتراب ومظاهره في شعر سيد قطب (دراسة وتحليل)، ادب عربي، العدد الواحد، ص ٢١٧-٢٣٨.